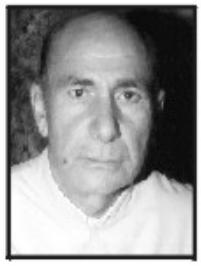

وَحدة الذات طريق إلى السلام

الأب يوحنّا عيسى

وحدة الذات

ما المقصود بهذه العبارة ؟ ليس المقصود بعبارة " الوحدة " هنا وحدة الجسد والنفس، بل هذا التوحّد مع الذات بحيث يتطابق الإيمان والسلوك، المعرفة والتطبيق، القول والفعل.

الإنسان ووحدة الذات

في الواقع، هناك إحتمالان نجدهما لدى الإنسان بالنسبة إلى وحدة الذات. فقد يطبّقها المرء أحياناً في عيشه وقد لا يطبّقها أحياناً أخرى، هذا من جانب، ومن جانب آخر، قد يعيش الإنسان طبقًا لهذه الوحدة على صعيد ما، في حين قد لا يفعل ذلك على صعيد آخر.

فقد يعرف الإنسان الله أو يؤمن به ولكنه لا يتصرف بمقتضى هذه المعرفة أو هذا الإيمان، بل على العكس يتصرف بخلاف ذلك.

فعلى هذا الصعيد، قد يعرف الإنسان أن الله إله رحمان ورحيم، ولكن لأهل دينه وحدهم، أمّا للآخرين فيريده إلهًا منتقمًا. هكذا كان الشأن مع يونان النبي الذي لا يريد أن يتطابق عمل الله في إسرائيل مع عمله بالنسبة إلى الأمم الوثنية، ففي إسرائيل يريده إلهًا رحمانًا ورحيمًا، في حين يكون إزاء الأمم الوثنية منتقمًا.

كما أن الإنسان قد يدعو إلى الأخوّة والمحبة والوحدة والحق والعدالة، لكنه، في الواقع قد يحمل الغَيرة والحسد والضغينة في قلبه ويمارس التمييز والتفرقة

والنفاق والرياء والدجل والغـش والخداع والكذب. تلك هي مأســاة التناقض التي عاش وما يزال يعيش فيها الإنسان من دون أن يفلح في تطبيــق هذه الوحدة مع الذات، طريقًا إلى السلام وبالتالي إلى الفرح والسعادة.

المسيحي ووحدة الذات

وما يقال عن الإنســان، يقال أيضًا عن المســيحي. فقد يعيــش هو أيضًا في مأساة التناقض هذا وهو يعيش كذلك في واقع الحال.

فقد يؤمن بالمسيح وبإنجيله ولكنه لا يلتزم بمضامين هذا الإيمان ومتطلباته.

وبسبب هذه الإزدواجية، لا يعرف هذا المسيحي السلام في حياته، بعكس ذاك الذي يعيــش في هذا التوحّد مع ذاتــه، إيمانًا وسلوكًا، فكرًا وتطبيقًا، قولاً وفعلاً. يكتب الأب ڤانســان مورا قائلاً : " فالإيمان الحقيقي يبني ويوحّد ويقوي المؤمن، بينما تناقضات إيمان أُســيء قبوله وتطبيقه، يجرح ويفكك الإنســان المحارب لله ولنفسه، إثنان فقط يعرفان السلام : القديس والملحد(*).

أجل القديس والملحد يعرفان السلام، إذ يعيشان وحدهما في ســلام مع الذات ولا يعرفان التناقض في حياتهما بل على العكس يعرفان التطابق.

أسباب هذه الظاهرة وسبل معالجتها

قد تقف وراء ظاهرة الإزدواجية هذه، التي قد نجدها لدى الإنســان كما لدى المســيحي على حد ســواء، أســباب عديدة ومختلفة يجدر بنا معرفتها وعرضها طريقًا إلى معالجتها.

السـبب الأول : الخوف، فبســبب خوف الإنسان أو المسيحي من الناس

(*) **الأب ڤانسان مورا**، سفر يونان، ص47، طبعة بيروت.

ومن أقاويلهم، قد يتظاهر بأمرٍ ما في حين هو بعيد عنه كل البعد. ولذا نرى كثيرًا من المؤمنين ومن المسيحيين يختفون وراء هذه الإزدواجية، محاولين لباس أقنعة مزيّفة صنعوها لأنفسهم، ولكن سرعان ما ينكشف أمرهم وبالتالي تتفضح أقنعتهم.

السبب الثاني : ضغط المجتمع، فقد يمارس المجتمع ضغطًا قويًا وكبيرًا على الإنسان أو المسيحي، سواء كان على شكل كلام أو تقليد أو عادة، فيحول هذا الضغط دون عيش المرء بحسب قناعاته.

السبب الثالث : ضعف الإنسان ونقصه، فقد يبدو الإنسان، بل حتى المسيحي، ضعيفًا أمام الإغراءات القوية ولا سيّما أمام الخطيئة التي تشكل خطرًا وتحديًا كبيرًا لوحدته، إذ تهددها عندما يتعرض لخطر الوقوع فيها وما ينجم عنها من انفصال وانقسام وتجزئة في كيانه بدلاً من وحدته وتماسكه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يبقى الإنسان، بل المسيحي، عرضة لهذه الإزدواجية، ما دام لا يكون كاملاً وممتلئًا بالإيمان وبالصفات والمبادئ والقيم.

السبب الرابع والأخير : عيش الإيمان، عدم قيام الإنسان أو المسيحي بمسعى جاد يؤدي إلى العيش أو الالتزام بالإيمان، سواء كان ذلك بسبب الضعف

أو الكسل أو اللامبالاة أو الجهل أو بسبب الإغراءات التي يتعرض لها والمعوقات التي قد يواجهها والتي تحول دون تحقيق هذه الوحدة.

أما سبل معالجة هذه الظاهرة، فهي تمر عبر السعي إلى نشدان الكمال والإمتلاء. كما أنها تمر، ولا شك عبر الحرية، هذه الحرية التي تشكل، مع المادة والسلطة، مقياسًا ومعيارًا لمعرفة المعدن الحقيقي أو المزيّف للإنسان أو المسيحي. فمتى ما منحت هذه الحرية، عاش الإنسان أو المسيحي صادقًا. ومن هنا نرى وجود علاقة قوية ووثيقة بين الحرية والصدق. فمتى ما كان الإنسان أو المسيحي حرًا، كان إذ ذاك صادقًا في قوله وعمله، في إيمانه وحياته، في معرفته وسلوكه. فلا صدق بدون هذه الحرية.

يسوع المسيح وهذه الوحدة

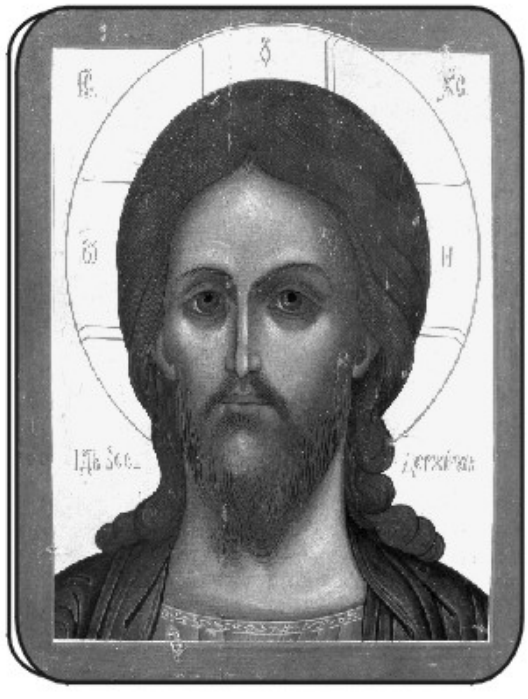

لسنا نغالي إن قلنا إنّ هناك شخصًا واحدًا فقط ظهر على هذه الأرض عاش بمقتضى هذا التوحد مع الذات وبالتالي بهذا التماسك في حياته. وهذا الشخص إن هو إلا يسوع المسيح الذي، وإن كان يشبهنا في كل شيء ما خلا الخطيئة، فهو يختلف عنا في هذا الشأن.

ففي كل حياته، كما في كل تعاليمه، لا نجد أي تناقض بين المعرفة والحياة، بين الفكر

والتطبيق وبين القول والفعل. فلأن يسوع عَرَفَ أن يعيش بمقتضى هذه الوحدة مع الذات، عرف أن يعيش في سلام وفي السلام مع ذاته قبل السلام مع الآخرين.

أما مرد ذلك، فلأن يسوع كان ممتلئاً بكل المزايا والصفات، وكان حاملاً كل القيم والمبادئ التي كانت تؤهله لعيش هذه الوحدة، الأمر الذي لم يدع مجالاً فيه لتناقض ما أو ضعف أو عيب أو نقص. فلقد كان إنساناً كاملاً جمع في شخصه الحب والتواضع، الحق والحقيقة، العدل والرحمة إلى جانب الجرأة والشجاعة والحرية.

هنا يكمن سبب سعادته وفرحه وسطَ الشدائد والضيقات التي مرَّ بها، ووسطَ كل التجارب التي تعرّض لها إبان حياته ورسالته.

شكر وإعلام

توقّف نشاط مركز توزيع الشمال، في كنيسة ام المعونة الدائمة في الموصل، بسبب الظروف الصعبة التي مرّت بها هذه المدينة العزيزة، فلم تتمكن ادارة المركز من توزيع العدد /40/ لعام.

إزاء هذا الواقع، دفعت الغيرة الرسولية الأخوة الأعزّاء، للدرجة اسماؤهم ادناه، فقاموا بمعالجة الوقف فورّعوا عدد المجلة على الكنائس والبرشيات للمنطقة الشمالية، وهم: الأب فادي ايشو الراهب، السيد نصير نجيب اليوسفاني، السيد ضياء صبحي بطرس، السيد عمّار نوئيل، السيد سلوان زكي المختار.

تود أسرة مجلة "**نجم المشرق**"، التي تضم بين أعضائها هؤلاء الاخوة، ان تعبّر عن امتنانها وشكرها الجزيل لهم، سائلة المولى القدير ان يكافئهم ويسبغ عليهم النعم السماوية والخيرات الارضية.

نود إعلام مشتركينا الأحباء وسائر القراء الكرام، إن ادارة مركز توزيع الشمال قد انتقلت من كنيسة ام المعونة الى دير مار كوركيس في الحي العربي.